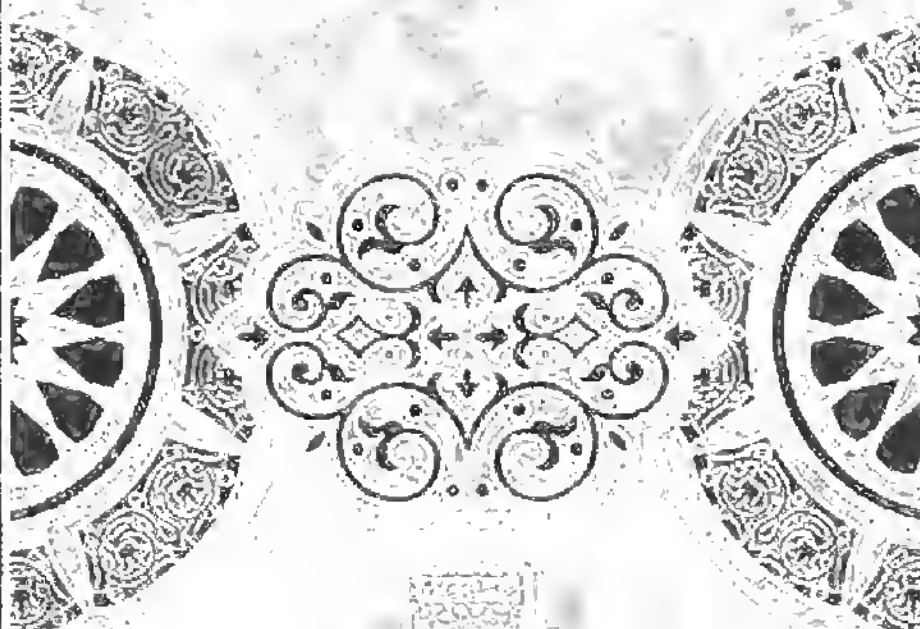


الفضائل السائدة في

عصرنا

أبنت ظهيرة

محمدي



دار النشر

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبيه الكريم ، وعلى آله وصحبه والتابعين .
وبعد :

فقد قرر "مركز تحقيق التراث القومي ونشره" ، بمناسبة "ألفية القاهرة" ، نشر طائفة من أمهات الكتب الخاصة بتاريخ القاهرة وخطوطها ، فكان مما كلفنا به تحقيق كتاب « الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة » لابن ظهيرة .

وابن ظهيرة — أو ظهيرة — علم على أميرة مكية من بنى مخزوم ، عرف منها غير واحد من الحفاظ والفقهاء والقضاة والمحدثين في القرنين التاسع والعاشر للهجرة . وقد ترجم لهم السخاوى في "الضوء اللامع" ، والسيوطى في "نظم العقيان" ، والمجيبى في "خلاصة الأثر" . غير أن ابن ظهيرة يذكر في مقدمته للفضائل الباهرة أن مولده ومنشأه قريب من البلاد المقدسة من أرض الشام ، وأن أصول آبائه الأقدمين من أرض مصر والشام وإن كانت إلى الشام أقرب . وأشهر أبناء ظهيرة :

(١) أبو السعادات جلال الدين محمد بن محمد بن الحسين بن ظهيرة المخزومى

(٧٩٥ — ٨٦١ هـ ، ١٣٩٣ — ١٤٥٧ م) .

(٢) أبو الطيب محب الدين أحمد بن محمد بن محمد بن الحسين (٨٢٥ — ٨٨٥ هـ —

١٤٢٢ — ١٤٨٠ م) .

(٣) أبو إسحاق برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد بن محمد ... بن عطية بن ظهيرة

(٨٢٥ — ٨٩١ هـ — ١٤٢٢ — ١٤٨٦ م) .

(٤) جار الله جمال الدين محمد بن نور الدين محمد بن أبي اليمن بن أبي بكر بن علي ...

ابن ظهيرة (المتوفى سنة ٩٨٦ هـ — ١٥٧٨ م) .

(٥) علي بن جار الله محمد بن محمد بن أبي اليمن (المتوفى سنة ١٠١٠ هـ — ١٦٠١ م) .

وقد اختلف فيمن يكون ابن ظهيرة صاحب الفضائل الباهرة من بين هؤلاء .

فن قائل : إنه من علماء القرن العاشر للهجرة . ويؤيد هذا الرأي أن المؤلف انتهى في ذكر حكام مصر إلى سنة ٩٨٢ هـ ، وهي السنة التي تولى فيها السلطان مراد ، فابن ظهيرة هنا ، إذا ، جاز الله جمال الدين محمد بن نور الدين (المتوفى سنة ٩٨٦ هـ) أو ابنه علي (المتوفى سنة ١٠١٠ هـ) ، ولكن كيف أوفق بين هذا وبين تلمذة المؤلف للمقرئ (المتوفى سنة ٨٤٥ هـ) ، فإنه كلما اقتبس من الخطط المقرئية وصف المقرئ بأنه شيخه ، فتلمذ ابن ظهيرة للمقرئ لا بد أن يكون في سنة ٨٤٥ هـ أو قبلها ، وإذا سلمنا جدلاً أن ابن ظهيرة هو جمال الدين محمد بن محمد بن نور الدين بن أبي بكر بن علي — كما جاء في فهرس التاريخ بدار الكتب ج ٥ ص ٢٨٩ — ، وأنه تلمذ علي المقرئ ، حتى في السنة التي توفى فيها ، وأن سن جمال الدين كانت وقتئذ حوالي العشرين ، فبغنى هذا أنه عاش ٧٥ سنة في القرن التاسع ، و٨٦ سنة في القرن العاشر للهجرة ، وهذا غير محتمل عادة . أضف إلى هذا أن مؤلف " الفضائل الباهرة " لم يشر ، من قريب أو بعيد ، إلى عالم من علماء القرن العاشر للهجرة ، اللهم إلا الشيخ زكريا الأنصاري (٨٢٣ — ٩٢٦ هـ) ففسد توفى في القرن العاشر ، وإن كان قد قضى معظم حياته في القرن التاسع للهجرة . ألا يجوز — إذا — أن يكون مؤلفنا من علماء القرن التاسع ، وأن واحداً من أبناء ظهيرة أكمل الجزء الخاص بحكام مصر حتى أوصله إلى السلطان مراد بعد وفاة ابن ظهيرة المؤلف ؟ ويؤيد هذا الاحتمال أنه كتب بهامش نسخة باريس ، بخط غير خط النسخة ، نبذة عن السلطان محمد الغازي ، وابنه السلطان أحمد — هذا ما أرجحه . وإذا وصلنا إلى أن مؤلف الفضائل الباهرة من علماء القرن التاسع للهجرة فهو إما أن يكون :

(١) أبا السعادات جلال الدين محمد بن محمد بن الحسين بن ظهيرة المخزومي

(٧٩٥ — ٨٦١ هـ) .

أو (٢) أبا الطيب محب الدين أحمد بن محمد بن محمد بن الحسين (٨٢٥ — ٨٨٥ هـ) .

أو (٣) أبا اسحاق برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد بن محمد بن حسين بن علي بن عطية

ابن ظهيرة (٨٢٥ — ٨٩١ هـ) .

فأما أبو السعادات ، فلا يحتمل عادة أن يكون تلميذاً للمقرئى ، لأن الفرق بين سنتي وفاتهما ١٦ سنة فقط .

وأما الاثنان الآخران فقد اتصلوا بالمقرئى في مكة أو في القاهرة ، وأجازهما ، وقد ارتحل الثانى منهما إلى مصر مرتين : الأولى في سنة ٨٥١ هـ ، والثانية في سنة ٨٥٣ هـ (أى بعد وفاة المقرئى بست سنوات في الأولى ، وثمان سنوات في الثانية) (انظر السخاوى : "الضوء الالامع" ج ١ ص ٩٨ ، ٨٨ و ج ٢ ص ١٩١ مطبعة القدسي بالقاهرة سنة ١٣٥٣ هـ) كما أنه لازم والد جلال الدين السيوطى (المتوفى سنة ٨٥٥ هـ) بمكة والقاهرة ، وتخرج به في الفقه والأصول ، وأنه كان يحمل جلال الدين على كتفه وهو صغير ("نظم العقيدان" للسيوطى ، المطبعة السورية الأمريكية بنيو يورك ص ١٧) .

ومن هذا يتضح أن صلة أبى اسحاق بمصر أوثق ، وتأليفه في تاريخها وخططها أكثر احتمالاً ، غير أننى لا أستبعد أن يكون أبو العليّب محب الدين أحمد مؤلف الكتاب .

وأما التاريخ الذى ألفته فيه "الفضائل الباهرة" فقد وردت في نسخة باريس — في « فصل ملخص من كلام ابن زولاق » — عبارة يفهم منها أن ابن زولاق توفى سنة ٣٨٩ هـ ، (وأغلب المراجع على أنه توفى سنة ٣٨٧ هـ) ، وأنه مضى على وفاته عند تأليف هذا الكتاب ، أو الفصل الذى وردت فيه هذه العبارة على الأقل ، ٤٨٢ سنة ، وعلى هذا يكون الكتاب أو الفصل قد وضع سنة ٨٧١ هـ .

« والفضائل الباهرة » رتبها مؤلفها على مقدمة وتسعة عشر فصلاً وخاتمة ، في ذكر مبدأ مصر وأول أمرها ، وذكر حدودها ، وذكر ملوكها وحكامها من قبل الطوفان إلى زمن السلطان مراد في الدولة العثمانية ، وكون مصر (محافظاتها ومراكزها) ، وما ورد في فضل مصر من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة ، ودعاء الأنبياء لمصر وأهلها ، ووصف العلماء لها ، ومن ولد بها من الأنبياء والحكماء والملوك والعلماء ، وذكر فتوح مصر ، وما بها من ثغور الرباط والمساجد الشريفة ، ووصف من كان بها من العلماء والحكماء وهدية خلجها ، وخراجها

في الجاهلية والإسلام، وما اقتصت به مصر من مأكول وملبوس وشروب، ماخصا من خطط ابن زولاق وتاريخه الكبير، وعجائب مصر وغرائبها، وذكر مقاييسها، وذكر القاهرة بالخصوص، وذكر عاين مصر الكلية الجامعة، وذكر ما اقتصت به مصر والقاهرة .

أما الأصول التي اعتمدنا عليها في تحقيق هذا الكتاب فهي :

(١) نسخة خطية بقلم معتاد كتبت سنة ١١١٤ هـ ، وأوراقها ٨٣ ورقة من القطع الصغير ، ورقها بدار الكتب ١٤٦٠ تاريخ .

(٢) نسخة مأخوذة بالتصوير الشمسي من نسخة خطية بمكتبة رفاعة بسوهاج ، مكتوبة سنة ١١١٨ هـ ، وبها ١٠١ لوحة ، كل لوحة ذات شطرين ، ورقم الصورة بدار الكتب ٥٥٦٠ تاريخ .

(٣) ميكروفيلم للنسخة الخطية بالمكتبة الوطنية بباريس ، في ١٤٨ لوحة ، كل لوحة غالباً ذات شطرين ، وعلى صفحة العنوان تملكان : أحدهما باسم مصطفى ابن محمد المشهور بنوزدق زاده بتاريخ ١٧ شعبان المعظم يوم الجمعة سنة ١٠٦١ هـ ، والثاني باسم الفقير إبراهيم كتخدا الأستاذ الأعظم البكري ، ورقه بدار الكتب ٣١٥٢ ميكروفيلم .

(٤) نسخة رابعة بخط عبد الوهاب محمد زرنبة ، نقلها عن نسخة سوهاج الخطية سنة ١٣٥٤ هـ ، ورقها ٥٥٨٣ تاريخ .

أما نسخة سوهاج فهي أكل النسخ وأقربها إلى الصحة برغم أنها ليست أقدمها ، ولذلك اعتبرناها أصلاً ، ورمزنا لها بالحرف (أ) .

وأما نسخة دار الكتب الخطية فتكاد تكون ملخصاً لكل من نسختي سوهاج وباريس ، وإن كانت تلي نسخة سوهاج في الصحة ، ولهذا رمزنا لها بالحرف (ب) .

وأما نسخة باريس فبرغم أنها أعانتنا في حل الكثير من المشاكل التي صادفتنا في التحقيق ، وأضافت أجزاء هامة ساقطة من (أ) و (ب) ، وأنها أقدم النسخ التي بين أيدينا - برغم كل هذا فإنها أقل النسخ من ناحية الصحة وأكثرها تكراراً ، ولهذا رمزنا لها بالحرف (ج) .

وتتفق (١) و (ج) في مقدار الفصول وترتيبها ، أما (ب) فقد ضمت فصل "عجائب مصر وغرائبها" (من لوحة ٦٦ حتى لوحة ٨٢ في ١) إلى فصل "من ولد بمصر" (من ورقة ٣١ حتى ورقة ٤٨ في ب) ، كما وضعت "فصل في ذكر المقاييس" بين فصلي "من ولد بمصر" و "فتوح مصر" ، وهو في (١) و (ج) بين فصلي "عجائب مصر وغرائبها" و "ذكر القاهرة بالخصوص" . وقد وضعنا ما في (١ ، ج) من زيادات عن (ب) بين قوسين مستديرين .

وابن ظهيرة يقتبس في كتابه من كلام من تقدموه من رواد الخطط المصرية وتاريخ مصر الإسلامية كابن عبد الحكم (المتوفى سنة ٢٥٧هـ) ، ومحمد بن يوسف الكندي (المتوفى سنة ٣٥٠هـ) ، وابن زولاق (المتوفى سنة ٣٨٧هـ) ، والقضاعي (المتوفى سنة ٤٥٤هـ) ، وخاصة شيخه تقي الدين المقرئ (المتوفى سنة ٨٤٥هـ) .

وقد رجعنا في تحقيقنا إلى جميع الموجود من كتب هؤلاء : "فتوح مصر وأخبارها" لابن عبد الحكم ، "ولاة مصر وقضائهم وفضائلهم" للكندي ، و "فضائل مصر" لابن زولاق ، و "المواعظ والاعتبار" للمقرئ ، بالإضافة إلى الكثير من كتب التراجم ومعجم البلدان واللغة العربية ، وخاصة "لسان العرب" لابن منظور و "تاج العروس" للزبيدي .

ولم نفتنا أن نرجع كذلك إلى بعض المعاصرين للؤلؤ ومن برزوا بعده من كتاب الخطط المصرية وتاريخ مصر الإسلامية ، كالسيوطي في "حسن المحاضرة" ، وعلى مبارك في "الخطط التوفيقية" ، ومحمد رمزي في "الفانوس الجغرافي" .

"والفضائل الباهرة" تعتبر بمثابة مختصر لخطط المقرئ إذا استثنينا الفصاين الأخيرين منها ، فإنهما من ابتكار مؤلفهما ، ونعني بهما "ذكر محاسن مصر الكلية الجامعة" و "ذكر ما اختصت به مصر والقاهرة" ، غير أن الأهمية البالغة لهذا الكتاب تبدو في الاقتباسات العديدة التي استقاها من مراجع لا أثر لها في الوجود الآن ، وذلك تخطيط الكندي ، "وتاريخ مصر الكبير" ، و "خطط مصر" وكلاهما لابن زولاق ، و "خطط مصر" للقضاعي ، وغيرها .

ولقد جرى ابن ظهيرة في كتابه على عادة المكين من إهمال الهمزة في الرسم ، فهو يهملها إن كانت مفردة ، وإن كانت على واو أو ياء رسمت الواو أو الياء بمجرده من الهمزة .

وبعد :

فنرجو أن نكون قد وفقنا بعض التوفيق في إنجاز أول كتاب لمركز تحقيق التراث القومي ونشره . ولا يفوتني أن أشكر من ساعدونا من طلاب المركز المذكور في البحث أثناء التحقيق .

ولقد كان المتفق عليه أن يقوم بكتابة هذه المقدمة صديق الشباب أنجي وشريك في تحقيق هذا الكتاب المرحوم الأستاذ مصطفى السقا ، ولكن المتية عاجلته ، فحرمنا تنويع هذا الكتاب بأسلوبه الرصين وفكره الشاقب ، ولقد كان لي من توجيهاته النيرة وتجاربه الواسعة وعلبه الغزير خير هاد في تغاي على العديد من الصعاب أثناء التحقيق .

تغمده الله فقيدنا العظيم بواسع رحمته ، وألهمنا جميعا في فقدده الصبر ما

كامل المهندس

(مارس ١٩٦٩)

المراجع والرموز

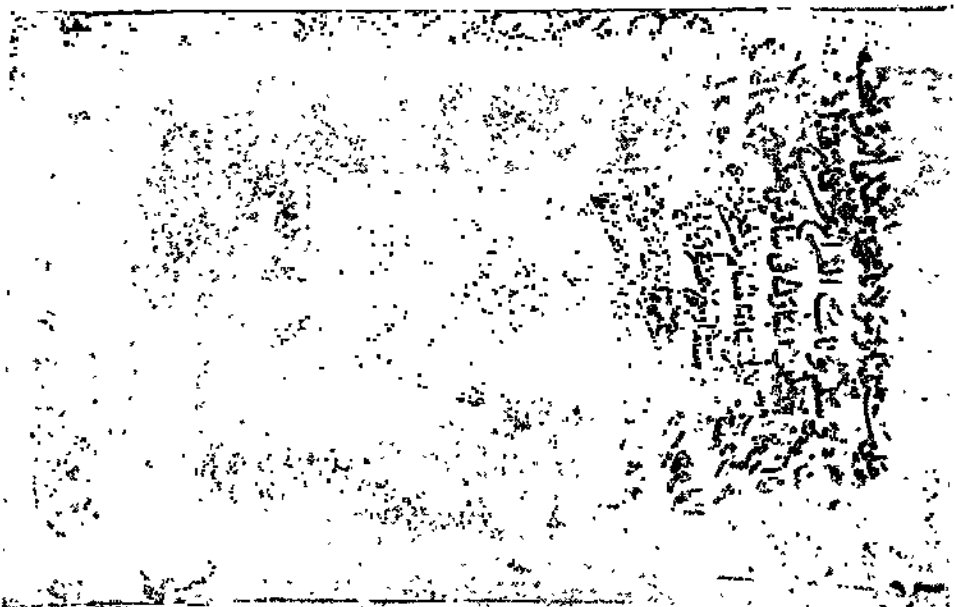
الرمز

- أخبار الأول فيمن تصرف في مصر من أرباب الدول — للاستحقاق، طبعة مصطفى
 البابي الحلبي (١٣١٠ هـ)
 ح الاستيعاب في معرفة الأصحاب — لابن عبد البر، أربعة أقسام في أربعة مجلدات
 طبعة (١٩٦٦)
 ر الإصابة لابن حجر: ثمانية مجلدات ٢٤١ مطبعة السعادة ٣٤-٨ الشرفية سنة ١٩٠٧
 اص الأعلام للزركلي (طبعة ثانية) — عشرة مجلدات
 ع تاج العروس للزبيدي
 ت الجامع الصغير للسيوطي، طبع دار الكتب العربية الكبرى سنة ١٣٣٠ هـ
 ب حسن المحاضرة للسيوطي — المطبعة الشرفية جزءان في مجلد
 ص حلية الكيت للنواجي مطبعة إدارة الوطن سنة ١٢٩٩ هـ
 حل خريدة القصر للمعاد الأصفهاني — لجنة التأليف والترجمة والنشر جزءان ١-٢ (١٩٥١)
 نخر خلاصة تذهيب تذهيب الكمال في أسماء الرجال للزرجي — طبع بولاق سنة ١٣٠١ هـ
 ندر الدر الكامنة لابن حجر خمسة مجلدات، طبع دار الكتب العربية الحديثة سنة ١٩٦٦
 در صبح الأعشى للقلقشندي
 ص صبح مسلم — مطبعة عيسى البابي الحلبي سنة ١٩٥٥ — خمسة مجلدات
 م الطالع السعيد للدقوى — المطبعة الجمالية ١٩١٤
 ف الطبقات الكبرى لابن سعد — ثمانية مجلدات طبع دار صاعد بيروت ١٩٥٧-١٩٦٠
 ط فتوح مصر وأخبارها — لابن عبد الحكم طبع ليدن ١٩٢٠
 ك فضائل مصر وأخبارها وخواصها — لابن زولاق خط بدار الكتب تحت رقم
 زو ٣٥٩١ تاريخ
 فو فوات الوفيات لابن شاکر الكتبي (مجلدان)

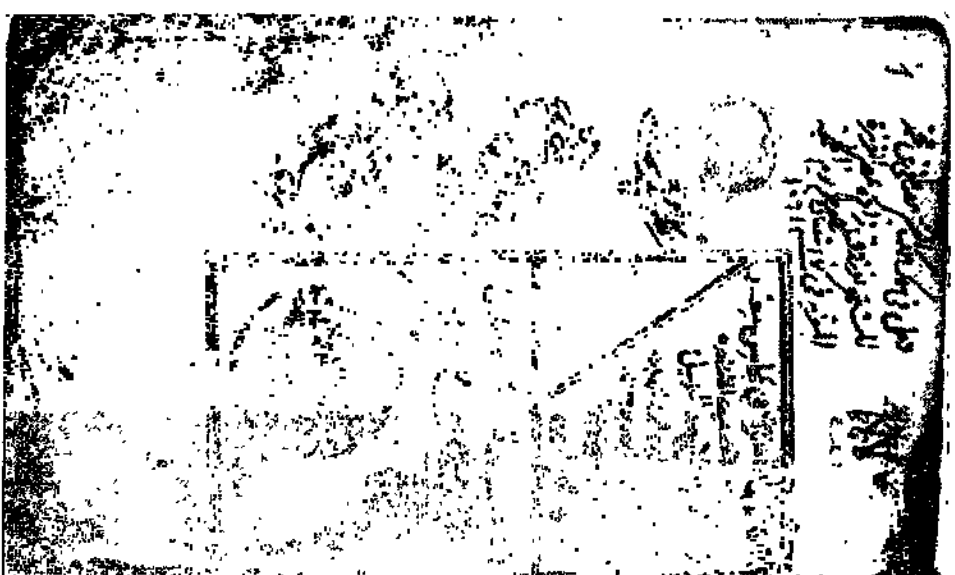
- الرمز
القاموس الجغرافى لمحمد رمزى قسمان فى خمسة مجلدات - دار الكتب المصرية
سنة ١٩٥٣ - ١٩٦٣ ق
معجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى للمستشرق زامباور - مطبعة
جامعة فؤاد الأول سنة ١٩٥١ ز
معجم البلدان - لياقوت - سنة مجلدات طبع طهران سنة ١٩٦٥ ب
المواعظ والاعتبار (الخطوط) - للقرينى مجلدات طبع بلاق سنة ١٢٧٠ هـ خ
النجوم الزاهرة لآلة بن تفسرى بردى طبع دار الكتب المصرية ن
الوافى بالوفيات - للصفدى - الثلاثة الأولى طبع والباقي مصور و
وفيات الأعيان لأبن خلكان (١ - ٦) مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٤٨ و
ولاة مصر - للكندى - طبع بيروت ١٩٥٩ ل

فصول الكتاب

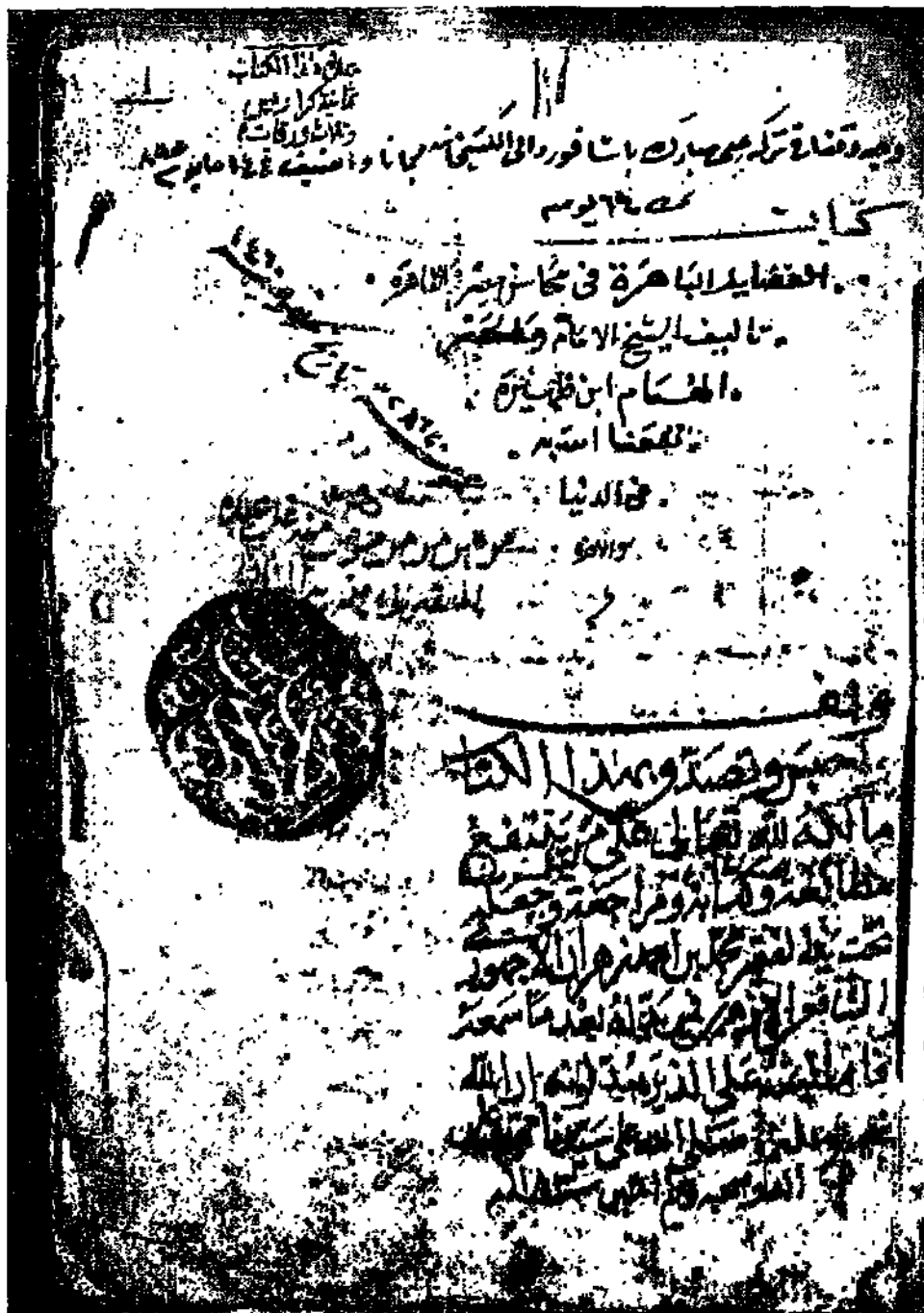
صفحة	
١	المقدمة
٦	فصل في ذكر مبدأ مصر وأول أمرها
٩	» » » حدود مصر
١٢	» » » عدد كور أرض مصر وقراها
١٤	» » » ملوك مصر
٥٣	» » » كور مصر المشهورة
٧١	» » » ما ورد في فضل مصر
٧٨	» » » دعاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لمصر وأهلها
٨٠	» » » وصف العلماء لمصر ودعائهم لها
٨٣	» » » في ذكر من ولد بمصر ، ومن كان بها من الأنبياء والحكماء والملوك والعلماء
٩٣	» » » فتوح مصر
١٠١	» » » ما بمصر من ثغور الرباط والمساجد الشريفة
١١٠	» » » مصر ووصف من بها من العلماء والحكماء والملوك ، وعدة خلجانها
١٢١	» » » ما حكي في خراج مصر في الجاهلية والإسلام
١٣١	» » » ملخص من كلام ابن زولاق
١٤٨	» » » في ذكر عجائب مصر وغرائبها
١٧٨	» » » المقاييس
١٨٠	» » » القاهرة بالخصوص
١٨٥	» » » محاسن مصر الكلية الجامعة
١٨٨	» » » ما اختصت به مصر والقاهرة
٢٠٥	الخاتمة



«صورة الصفحة الأخيرة من كتاب «الفضائل الباهرة لابن طهيرة»
بالأصطلح عروطة بكتبة رقاعة بمطاح



«صورة صفحة الثلاث من نسخة باريس من «خطوط» الفضائل الباهرة»



صورة لصفحة العنوان من مخطوطة دار الكتب المصرية لكتاب
 "الحشائيد الباهرة لابن قتيبة" المكتوبة سنة ١١١٤ هـ